معالم المشاركة العربية في الثورة الفلسطينية

الدكتور كلوفيس مقصود

لم تكن الثورة الفلسطينية في تاريخها المعاصر ثورة فلسطينية منفصلة عن ارتباطها القومي بالساحة العربية بل كانت في الواقع ثورة عربية بين الفلسطينيين في فلسطين . لا يزال هذا الواقع الموضوعي يتحكم بمسيرة الثورة الفلسطينية في المرحلة الراهنة الى حد بعيد . اصيب هذا الترابط الموضوعي بين الثورة الفلسطينية وواقعها العربي بصدمة عنيفة اثر هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ . كانت الهزيمة بالنسبة للشعب الفلسطيني اكثر من مجرد هزيمة للعرب في معركة رئيسية مع اسرائيل ، وكانت اكثر من مجرد هزيمة ناجمة عن فقدان التصور الاستراتيجي والفكر الاستراتيجي لدى القيادات العربية العسكرية ، وكانت اكثر من مجرد بروز النتائج السلبية لتسيس الجيوش العربية وبالتالي لعدم قدرتها على الممارسات السياسية الواضحة بينما فشلت في مواصلة دراسة الفنون العسكرية الحديثة . لقد كانت هزيمة الخامس من حزيران بالنسبة للفلسطينيين هزيمة المؤسسات القومية والتقدمية التي ارتبطوا باطاراتها وحركيتها الجماهيرية ارتباطا ثوريا وفكريا ومصيريا . هذا الفهم الفلسطيني للهزيمة عنى ، فيما عنى ، ان الثورة العربية في فلسطين وبين الفلسطينيين ، فقدت مبرراتها الجهازية ، والى حد كبير مبرراتها النظرية والسلوكية . كان من جراء ذلك حدوث ارتداد الى الدعوة لتركيز فلسطينية الثورة ، اي جعلها بمنأى عن تحكم العلاقات والروابط العربية . كان هذا الارتداد في الواقع حكما فلسطينيا على الحركات القومية . اي على الحركات الثورية ذات الامتداد القومي ، ذلك لان الطلائع الفلسطينية كانت ، خاصة بعد قيام اسرائيل ، في حالة تمرد وثورة مستمرة لكن هذه الثورة لم تتخذ طابعا فلسطينيا محضا او غالبا . لقد كان التعبير عن الارادة الفلسطينية الثورية يتجلى في المشاركة العضوية الحميمة في كل الصياغات التنظيمية والحزبية والحركية الجماهيرية التي كانت تفرزها الساحة العربية . من هنا كان القطاع الفلسطيني في حزب البعث وفي حركة القوميين العرب وفي الحركة الجماهيرية التي تزعمها وعبر عنها الرئيس جمال عبدالناصر ، كانت كلها مؤشرات الى قناعة اساسية لدى الشعب الفلسطيني بأن لا سبيل للتحرير الا الوحدة ، وبأن الوحدة لا تتحقق الا ببرامج تستهدف تحولات جذرية في التركيب الاقتصادي والاجتماعي للمجتمعات العربية . لهذا فقد كان استعداد الشعب الفلسطيني وطلائعه المتمردة او الثورية لتذويب الشخصية الفلسطينية في الصياغات القومية والتنظيمات القومية ، يعود الى اقتناع الفلسطينيين بمعادلة نظرية صحيحة ، كانت صحيحة ولا تزال كذلك ، تقول بأن عملية التحرير الشامل لا يمكن ان تتحقق الا من خلال الوحدة العربية او من خلال الصيغة التنظيمية للوحدة، وبأن اية خطوة وحدوية في الساحة العربية انما هي اقتراب من موعد التحرير . لم يكن لدى الفلسطينيين اي رغبة او امل في التوصل الى السلطة او في ممارسة سلطة مباشرة من وراء انضمامهم ومشاركتهم في الاحزاب القومية او في الحركات الجماهيرية العفوية ، لكن المستمرة ، كالحركة الناصرية مما ميز الانتساب الفلسطيني لهذه الاحزاب والحركات وجعله متقدما